ذنْب طاهر !!

مشهور عبدالعزيز الصحفي

عندما أنتهي من كتابة أي مقال , أجده يبدأ غامضاً وينتهي حالماً , تارة أقول بأن المقال يمثلني , وتارة أقول بأني لا أعرفني , هل أنا أنا ؟!

أظن بل أجزم بأن من يتحكم بخاصية الكتابة لدى الانسان هو العقل الباطن , وها أنا عندما بدأت تمكن داء الحنين إلى الماضي (النوستاليجا) مني , ورحلنا إلى الماضي سوياً , طفنا شتى البلدان ومختلف الحضارات , لم يستوقفني منها سوى الفقر الذي كان يعيشه آباؤنا , والذي قال عنه عمر رضي الله عنه (لو كان الفقر رجلا لقتلته) , إلا إنهم كانوا عزيزي الأنفس قانعين بالقدر متفائلين بالمطر , بحثت فلم أجد لذلك الفقر العفيف تعريفاً يرويني أو عن التفكير فيه يثنيني , فقررت أن أعرفه بنفسي :

" الفقر " هو تنهيدة الرضا , والوجه الأبيض للعنا .

" الفقر " هو لجوء إلى المنفى , وفرح بلا مرسى .

أحببت الفقر بسببهم فقررت أن أعيشه , لعلني أحاكي بريقهم , وقبل أن أخوض التجربة أردت أن أقنع نفسي فتمعنت في حال الأغنياء (الطبقة المخملية) وتحسست أحوالهم , فوجدت أن معظمهم يعزفون الفرح نشازاً بلا مقام , وأن أتقنوا عزف الفرح فإن من يشاركهم العزف ثلة من المتملقين الأشقياء المعروفين بسوءهم , يا ترى أي فرح هذا !؟

بل إنهم محسودون حتى في عزائهم لأن نصيبهم زاد بالتالي ابتلاءهم زاد , وإن أبتلي أحدهم بمرض سريري لايرجى شفاؤه , يؤمن لنفسه أو لمن يحب أجهزة تنعش قلبه فقط عشرات السنين , طوال هذه الفترة تتسمر عينا ذلك الغني أمام تلك التموجات الخضراء , يسامر الشقاء .

بل إن الأغنياء لا يحلمون لأنهم يملكون كل شيء من أي شيء , " والحياة من دون حلم , صلاة من غير وضوء " ,

يا ترى أي حياة هذه !

يقول أحمد شوقي : (الغنى ظل زائل) .

أيها الأغنياء أنتم كالورود ولكن للأسف ورود فقدت عبيرها بلا رائحة , السعادة بالنسبة لكم كومة قش تود النفاذ من ثقب إبرة , الغنى بين قوسين هو (ذنب طاهر) .

فلنتخلص جميعنا من هذا الذنب الطاهر , ولنمتطي ذلك الفرس العربي الأصيل (الفقر) , ذو الجبهة العريضة والغرة البيضاء (الصدق) , ومنخاران واسعان (الصبر) يساعدانه على الركض بلا تعب , وصدر ضخم وجسم متناسق (مسرج بالقناعة) , طريقه للنصر محتوم .

للفقر فوائد لم ولن نسمع بمثلها أبداً , وهي :

الفقر يصنع منا ملحدين بكل عادات البذخ المرفوضة دينياً , لذلك نحن أول الملحدين الصادقين .

يستوجب علينا التلذذ بالفقر فهو شغف وشرف لا يناله الجميع , فمشاغلنا المحدودة منحتنا الوقت الكافي لصلة أرحامنا بالتالي تزداد أعمارنا .

بل إن الفقير يموت مطمئناً , فهو لا يملك أموالاً تشتت أبناءه بعد رحيله .

إن كنت فقيراً تستطيع أن تحلم , بالتالي هنالك فجر قادم ، وابتهالات باسمة .

في الفقر لا يوجد هدايا زائفة ومقارنات , في الفقر نطوق من نحب بطلاسم عشق صادقة لا يحلها سوى الموت .

الفقر جنة المرأة , لأن الزوج ليست لديه القدرة على الزواج من غيرها , بالتالي ضمنت جنتي الدنيا والآخرة إن أحسنت لهما .

يا ترى , هل هناك من يشكك في روعة وأناقة الفقر؟!

فليحكم أمرنا للدين , نحن الفقراء نسلك منهج الأنبياء ونشابههم في هذا الجانب فنحن إذا متنا لا نورث شيئاً ,

وهم كذلك : قال عليه الصلاة والسلام ((إنا معاشر الأنبياء لا نورث)) .

بل إن الفقير يسبق الغني في دخول الجنة بخمسمائة عام إن تساوت أعمالهم , فالغني يؤخذ منه ماله كله , ويسأل عنه كله ,

أما الفقير ليس لديه مال يسأل عنه , قال الرسول عليه السلام (يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم , وهو خمسمائة عام) ..

يا ترى , هل أحببتم الفقر؟!

إذا فلنصبح فقراء لننال غنى الأنفس مع من سبقونا, ولكن لابد من تنفيذ ما قاله عمر المختار :

(كن عزيزاً وإياك أن تنحني مهما كان الأمر ضرورياً , فربما لا تأتيك الفرصة كي ترفع رأسك مرة أخرى) .

أخيراً : إن أصبحنا فقراء حقا ، فهنيئاً لأرجوحة الفرح بنا .

مشهور عبدالعزيز الصحفي